نَصٌّ سَرْدِيٌّ مُغَنِّي بمقاطع تفسيرية

عِنْدَما انبلج نُورِ اَلصَّبَاحِ، وَقَفَتْ فِي شُرْفَةِ اَلْفُنْدُقِ أتأمل مَدِينُهُ سُوسَة اَلسَّاحِلِيَّةِ وَهِيَ تَنْتَشِرُ حَوَالَي أَمْيَالاً وَأَمْيَال، أخذت لِجَمَالِهَا وَأَنَاقَة مَبَانِيهَا اَلْمُمْتَدَّةَ عَلَى سَوَاحِلِ اَلْمَدِينَةِ اَلَّتِي تُحِيطُ بِهَا اَلْبَحْرُ اَلْأَزْرَقُ. سَوسَة مَدِينُهُ قديمة حَدِيثُة وَهَذَا مَكْمَنُ سِحْرِهَا فَقَدْ جَمَعَتْ بَيْنَ عَبَقِ اَلْمَاضِي وَحَدَاثَةُ عَهْدِنَا اَلْمُعَاصِرِ، قَائِمَةٌ عَلَى سَهْلٍ فَسِيحٍ خِصْبٍ تَمْتَدُّ عَشَرَاتِ اَلْكِيلُومِتْرَاتِ مِنْ جَمِيعِ اَلْجِهَاتِ وَعَلَى مَشَارِفِهَا تِلَالٌ صَغِيرَةٌ قَلِيلَةُ اَلِارْتِفَاعِ قَدْ اِمْتَدَّ إِلَيْهَا اَلْعُمْرَانُ اَلْحَدِيثُ، مَنَازِلَ بَيْضَاءَ أَنِيقَةً تُحِيطُ بِهَا حَدَائِقُ وَاسِعَةٌ. مَا زَالَتْ سَوسَهُ مُحَافَظَةً عَلَى طَابَعِهَا اَلْقَدِيمِ فيزهو فِي وَسَطِهَا رِبَاطٌ سَوسَهُ اَلْأَثَرِيَّةِ مُتَرَبِّعًا عَلَى عَرْشِ اَلْمَدِينَةِ كَالْمَلِكِ اَلْمُتَوَّج شَاهَدَ عَلَى تَارِيخِهَا اَلْعَرَبِيِّ اَلْمَجِيدِ، مَلِكٌ مُطَاعٌ مُهَاب ذو هالة قَدُوسِيَّهْ، وَقَدْ أَوْلَاهُ أَهْلُ اَلْمَدِينَةِ مَكَانَهُ مَرْمُوقَةً وَاهْتِمَامًا إِنَّهُمْ يَعْتَبِرُونَهُ مَصْدَرَ فَخْرٍ وَاعْتِزَازٍ لَهُمْ. شَيَّدَ اَلرِّبَاطَ فِي اَلْقَرْنِ اَلثَّامِنِ مِيلَادِي وَهُوَ يَضُمُّ أَبْرَاجَ مُرَاقَبَةٍ فِي اَلِاتِّجَاهَاتِ اَلْأَرْبَعَةِ وَجُدْرَان ضَخْمَةٍ وَحَمَّامَاتِ وَسَرَادِيبِ سِرِّيَة تَرْبُطُ أَعْلَاهُ بِأَسْفَلِهِ. وَيَتَّخِذُوا رِبَاط سوسة شَكْلاً مُرَبَّعًا حَيْثُ يَصِلُ طُولَ ضِلْعِهِ نَحْوَ 30 مِتْرًا، أَمَّا اَلنَّاحِيَةُ اَلْجَنُوبِيَّةُ اَلشَّرْقِيَّةُ تَقُومُ عَلَيْهَا قَاعِدَةٌ مُرَبَّعَةٌ فَوْقَهَا نَاظُورُ اَلْمُرَاقَبَةِ وَالتَّرَصُّدِ وَفِي دَاخِلِهَا قَاعَاتُ اَلْحِرَاسَةِ وَيَعْتَبِرُ اَلسُّكَّانُ هَذَا اَلرِّبَاطُ حصنًا مَنِيعًا بِالْمَدِينَةِ مِنْ أَيِّ غَازٍ أَوْ عَدُوٍّ. اِخْتَلَطَ فِيهَا اَلْبِنَاءُ اَلْحَجَرِيُّ اَلْقَدِيمُ بِالْبِنَاءِ اَلْحَدِيثِ اِخْتِلَاطًا أضفى عَلَيْهَا رَوْعُة وَجَلَالاً وَمَنْحَهَا سِحْرًا وَجَمَالاً لَا تَجِدُهُ فِي غَيْرِهَا مِنْ اَلْأَمَاكِنِ. فَقَدْ أُقِيمَتْ فِي سُوسَة اَلْمَبَانِي اَلْحَدِيثَةِ

اَلْفَخْمَةِ وَشقَّتْ فِيهَا طُرُقَاتُ طَوِيلة مَعْبَدُة مُنَظَّمَةً مُتَنَاسِقَةً مَعَ طَابَعِي اَلْمَدِينَةَ اَلْحَدِيثَةَ وَانْشَاتْ فِيهَا أَحْوَاضُ اَلْمَاءِ عَلَى نَسَقِ بَدِيع وَزَرَعَتْ فِيهَا أَنْوَاعٌ مِنْ اَلْأَزْهَارِ فِي تَرْتِيبٍ هَنْدَسِيٍّ يُسْحَرُ وَيُبْهَرُ اَلنُّفُوس. لهَا سِحْرٌ خَاصٌّ فَقَدْ مَزَجَتْ بَيْنَ اَلْمَاضِي وَالْحَاضِرِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ تُسَافِرُ بِكَ بَيْنَ اَلْأَزْمِنَةِ وَالْحَضَارَاتِ اَلَّتِي تَعَاقَبَتْ عَلَى هَذِهِ اَلْأَرْضِ اَلْخِصْبَةِ لِقُرُونٍ وَقَدْ شَعَرَتْ بِهَذَا حِينِ دَخَلَت اَلْمَدِينَةِ اَلْعَتِيقَةِ اَلَّتِي نَالَتْ شُهْرَةً عَرَبِيَّةً وَعَالَمِيَّةً وَاَلَّتِي تُعْتَبَرُ رَمْزًا مِنْ رُمُوزِ اَلتَّطَوُّرِ اَلْمِعْمَارِيِّ اَلْمُهِمِّ اَلَّذِي عَاشَتْهُ اَلْمَدِينَةُ عَلَى مَرِّ قُرُونٍ , تَتَرَكَّبَ هَنْدَسَتُهُمْ اَلْمِعْمَارِيَّةَ مِنْ أَعْمِدَةٍ حَجَرِيَّةٍ ذَاتِ طَابَعِ أندلسيين . تَتَوَسَّطَ أَرْضِيَّةَ اَلسُّوقِ مَمَرَّاتٍ مُخَصَّصَةً لِلْمَارَّةِ وَالْمُتَجَوِّلِينَ، أُمَّا جَوَانِبُهَا فَتُؤَدِّي بِالزَّائِرِ إِلَى اَلدَّكَاكِينِ اَلْمُوَزَّعَةِ عَلَى اَلْجَانِبَيْنِ، يُوجَد بِهَذَا اَلسُّوقِ مَحَلَّاتِ بَيْعٍ لِلصِّنَاعَاتِ اَلتَّقْلِيدِيَّةِ كَالتُّحَفِ اَلتِّذْكَارِيَّةِ اَلتَّقْلِيدِيَّةِ وَالزَّرَابِي وَالْمَلَابِسُ اَلَّتِي تَحْمِلُ اَلرُّوحَ وَالطَّابِعَةَ اَلتُّونِسِيِّ. هَذِهِ سوسة كَمَا رَأَيْتُهَا مِنْ شُرْفَةِ اَلْفُنْدُقِ قِطْعَةً مِنْ اَلْمَاضِي اِمْتَدَّتْ عَبْرَ اَلزَّمَنِ لِتُوَاكِبَ اَلْحَاضِرَ بِمَا فِيهِ مِنْ تَطَوُّرَاتٍ وَتُحَافِظُ عَلَى هُوِيَّتِهَا اَلتَّارِيخِيَّةِ فَتَكُونُ بِذَلِكَ قِطْعَةً فَرِيدَةً.

9raya.tn موقع